

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

قال أبو عبيد : وقال أكثم بن صيفي " المِكَثَارُ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ " قال : وإنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لَسَعَتْهُ العُقْرَب في احتطابه ليلاً :
فكذلك هذا المهدار ربما أصاب في إكثاره بعض ما يكره .
وقال أكثم أيضاً : " الصَّامِتُ يُكْسِبُ لَصَاحِبِهِ الْمَحَبَّةَ " وقال غيره من العلماء " النَّذَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّذَمِ عَلَى الْقَوْلِ " . وقال الثالث " عِيٌّ صَامِتٌ خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٍ " . وقال بعض أشيخنا كان ربيعة الرأي مكثراً فسمعه أعرابي يوماً يتكلم فلما كان عند انقضاء مجلسه سأله رجل ما تعدُّون العي بالبادية فقال الأعرابي : ما هذا فيه منذ اليوم يعني إكثار ربيعة .
ع : كان حكم هذا المثل على تفسيره هذه أن يضعه في الباب الذي قبل هذا وهو " باب حفظ اللسان لما يخاف على أهله من عقوبات الدنيا " لأن هذا المكثر يصيبه في إكثاره ما يكره كما أن المحتطب ليلاً ربما أصابه من هذا الهوام حِمَامُهُ أو أَلَمٌ . وقال الفرزدقُ
فبيِّنَ معناه : .
(وَإِنَّ أَمْرًا يَغْتَابُنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ ... حَرِيمًا وَلَا تَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ) .
(كَمْ حَتَّطِبِ لَيْلًا أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ ... أَتَاهُ بِهَا فِي طُلُومَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ)